رسائل إلى المحرر

قُتلوا أكثر من مرّة

لم يتفاعل الفايسبوكيون (من اللبنانيين) مع خبر جريمة القتل التي روّعت أهالي قرية كترمايا. خبر الجريمة ورد في سطور قليلة في معظم المواقع الإلكترونية التي غابت عنها الصور. فلم يشاهد الفايسبوكيون الجد السبعيني ولا زوجته، ولا حفيدتيهما، طفلتي التسعة والسبعة أعوام، جثثاً مضرجة بالدماء.

لا أحد من الفايسبوكيين، على الأقل من أولئك الذين تربطني بهم علاقات فايسبوكية، بادر إلى لصق هذا الخبر على حائطه أو وضع تعليقاً على هذه الجريمة.

في اليوم التالي، جريمة أخرى. أهالي كترمايا انهالوا على القاتل خلال تمثيله الجريمة، وانتهوا إلى نحره، تماماً كما استخدم السكين في جريمته في اليوم السابق. ثأروا.... وعلّقوه، «عبرة لمن اعتبر»، تماماً كما كانت تنفذ أحكام الإعدام في الساحات. ضرب من «الهمجية واللاإنسانية»، صُوِّر، وأصبح الخبر الأكثر قراءة على بعض المواقع الإلكترونية. هبّت حماسة الفايسبوكيين، لصقوا الخبر، ذيّلوه بتعليق يربط جريمة اليوم بما قاله وليد جنبلاط عن الانتقال من البداوة إلى التمدن! وانهالت التعليقات.

همجية قتل القاتل، في القرية التي يقال إن غليانا حكم أهلها منذ لحظة اكتشافهم الجثث الأربع، اهتزّت لها الإنسانية الكامنة في نفوس الفايسبوكيين...

وسائل الإعلام، الصحافيون، صانعو الرأي، وغيرهم من الحريصين على حقوق الإنسان وتعزيز حسّ المواطنة المفقود، أبدوا عطشاً رهيباً للدم.

الإعلاميون، وهم أصحاب مهنة الصورة، والأقدر على فهم حقيقتها وتفكيكها، خضعوا للصورة التي شاهدوها يوم الخميس. تحت تأثير فظاعة ما شاهدوه، انساقوا كلياً وراء هذه الفظاعة، ونسوا مأساة عائلة لم يسمح لها ما جرى، يوم الخميس، بأن تبكي أحبّاءها، لأن الصحافيين، ببساطة، نسوا. لم تصعقهم صور ليوسف وكوثر وآمنة وزينة، صور مشبعة بدماء تروي ظمأ إنسانية صدئة أصلاً، فباتوا في كل مرة يكتبون ويحلّلون، وفي كل مرة يحاولون إدانة المجتمع القاصر إنسانياً، وفي كل مرة يحاولون التنصّل من هذا الخزي الذي لحق بهم باعتبارهم أفراداً في هذا المجتمع «القطيع»، يتماهون مع الهمجية المدانة. يدينون الحدث فيما هم يمجّدون صورته. فغابت حكاية رنا... لم يعرف أحد إن كان يوسف يظن أن نهاية مشواره ستكون في داره غارقاً بدمائه. هل علم أحد إن كانت آمنة قد بدأت ترسم أحلام مراهقة مبكرة، أو الكلمة الأخيرة التي نطقت بها زينة عندما أسرعت إلى داخل المنزل؟ غابت كل هذه الحكايا، في غياب الصورة. لم تكن الكلمات كافية. فقُتل يوسف وكوثر وآمنة وزينة، أكثر من مرة...

نجلاء أبو مرعي

في الواجهة

بلديّات جبل لبنان

من معارك بالعائلات إلى معارك العائلات

في الانتخابات البلدية تستدرج العائلات الأحزاب إلى خصوماتها ومصالحها، وفي الانتخابات النيابية تستدرج الأحزاب العائلات إلى شعاراتها. تتصرّف الأولى على أنها مؤتمنة على نظام علاقاتها، والثانية على الكيان والمصير

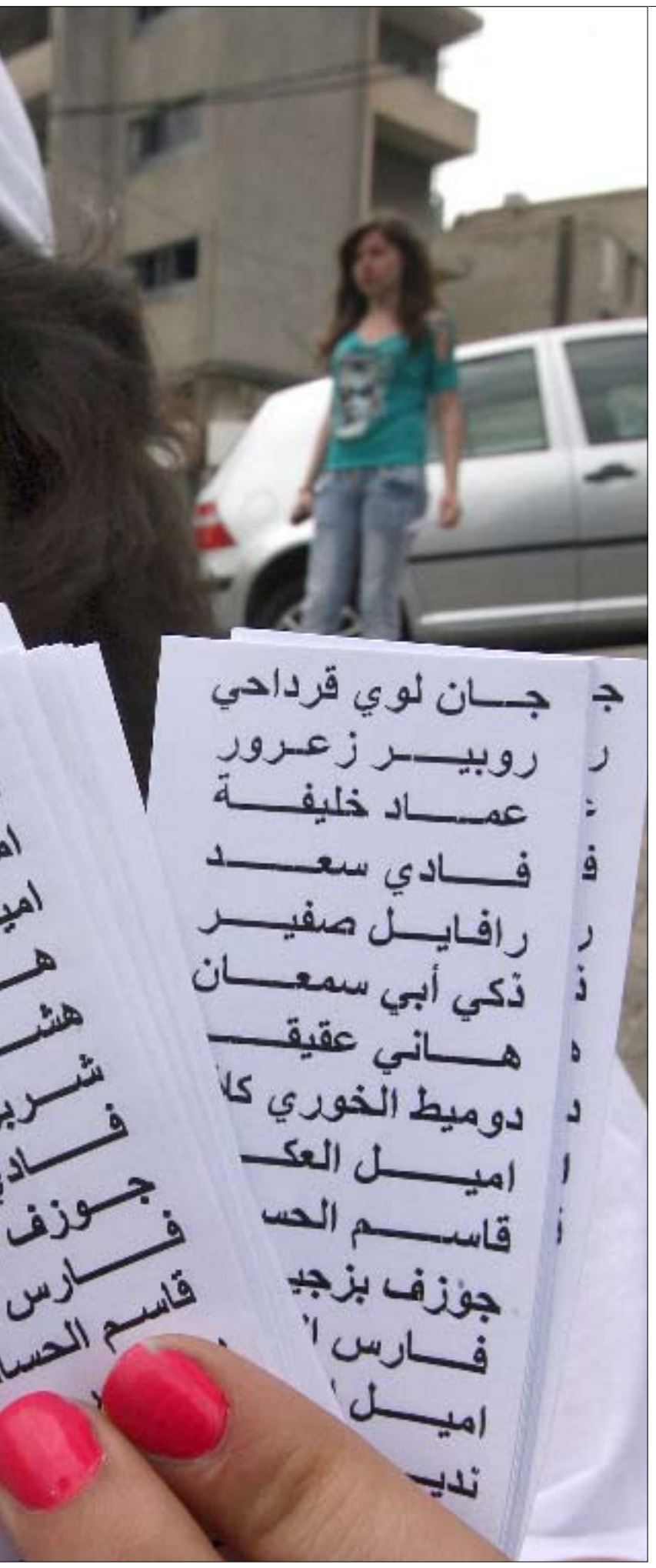

في جبيل سُيّست المعركة نتيجة الودّ المفقود بين ميشال سليمان وميشال عون (هيثم الموسوي)

نقولا ناصيف

قبل أسبوعين على الأقل من الانتخابات البلدية في محافظة جبل لبنان، تسابَق السياسيون والأحزاب الذين انخرطوا في ائتلافات أو في تنافس حاد على الجهر بأنها استحقاق عائلي بحت، مهما تكن النتائج المتوقعة من التصويت. أبعدوا الانتخابات البلدية عن الخيارات السياسية التي ينقسمون عليها، وعدّوا شعارها إنمائياً فقط، وأن الفوز والخسارة يتساويان في حساب واحد، هو أن الخيار للعائلات وحدها التي ترسم توازن القوى في القرى والبلدات باستثناء المدن الكبرى، آخذة في الاعتبار فروعها وأفخاذها والمصالح التي تتقاطع عندها علاقات العائلات.

ليست المرة الأولى التي يُلقى الضوء فيها على العائلات لاعباً رئيسياً في إدارة الانتخابات البلدية. حصل ذلك في كل انتخابات بلدية حتى عام 1963، وفي الانتخابات البلدية عامي 1998 و2004. تتغلغل السلطة السياسية وأجهزتها في هذا الاستحقاق، وتختبئ وراء العائلات التي يختبئ بعضها أيضاً وراء نفوذ السلطة نفسها، فتدار حيناً معارك العائلات وأحياناً معارك بالعائلات.

على نحو مشابه، كان استحقاق 2010، لكن بفارق جوهري هو أن وزارة الداخلية لم تكن على صورة نظيراتها في كل تلك السنوات.

ولأن الأمر كذلك، أوحى السياسيون والأحزاب والتيّارات، المتحالفون والمتنافسون والموجودون في سلطة سياسية واحدة للمفارقة، بأن غداة إعلان نتائج الاقتراع يوماً آخر وجديداً يتصالح فيه الخاسرون مع الفائزين ويبدأون تعاوناً جديداً يرمي إلى إنماء مساقط رؤوسهم، نائين بأنفسهم عن الانتماءات السياسية المتشعبة والمتعارضة من داخل العائلات نفسها حتى. لخّص النائب سامي الجميّل الصورة بالعبارة الأبلغ: ليس للبلديات أن تبحث في سلاح حزب الله، ولا في العلاقات مع سوريا. وهما البندان المبرّران لوجود كل من قوى 8 و14 آذار.

لم يقل أيّ من الأفرقاء السياسيين الذين دعموا لوائح الائتلاف والتنافس على السواء إن استحقاق 2010 سيقيس الشعبية المسيحية لهذا الفريق أو ذاك، ولا رَفَعَ أي منهم شعارات مشابهة لحملات الانتخابات النيابية الصيف الماضي كأن يغلّب الاقتراع البلدي طرفاً على آخر كي يلغي دوره في السلطة المحلية. لم يقل أحد إن الفائز فائز، والخاسر خاسر. الأول يسيطر والثاني ينكفئ. وخلافاً للانتخابات النيابية التي كرّست الانقسام السياسي بين قوى 8 و14 آذار وشتّتت المسيحيين، قالوا إن العائلات ستمثّل صمام أمان تنافس السياسيين والأحزاب المسيحية كي يخرجوا من الانتخابات البلدية متصالحين. كان التيّار تيّارين والحزب حزبين في أكثر من لائحة وجهاً لوجه، وأخذ كل منهما في الحسبان مصالح العائلة ونفوذها ومصالحها ودورها في البلدة.

قبل صدور النتائج الرسمية النهائية، انقلب المشهد رأساً على عقب في المجالس البلدية المسيحية المنتخبة. فُسّر فوز بعض الأفرقاء على أنه انتصار لخيار سياسي تقوده قوى 14 آذار، وفسّرت الخسارة على أنها تراجع ملحوظ في شعبية الفريق الآخر وهزيمة إضافية، بعد الانتخابات النيابية، للخيار السياسي الذي تقوده قوى 8 آذار. وهكذا أُخرجت العائلات من الانتخابات البلدية كي توضع الدلالة السياسية في جعبة السياسيين والأحزاب.

واقع الأمر أن الساعات الأولى لبداية صدور نتائج غير رسمية لبلديات جبل لبنان، وأخصّها ذات الغالبية المسيحية، أبرَزَت ملاحظات عدّة، منها:

1 ـ عكف كل فريق في لوائح الائتلافات على احتساب أرباحه بالقول إنه حصد كذا بلدية بالتحالف مع أفرقاء آخرين. بذلك بدت اللوائح الائتلافية حصة كل من الأحزاب والتيّارات، فيما كل من هذه يملك في المجلس البلدي الجديد جزءاً من انتصار، لا انتصاراً كاملاً. لم يربح أي منهم منفرداً في بلديات الائتلاف، لكنهم جميعاً يجتمعون في فوز اللائحة الائتلافية بالذات.

2 ــ حيث تأكد لكل من السياسيين والأحزاب والتيّارات أنه قادر على الفوز بمجلس بلدي بكليته، تجنّب التحالف مع شركاء آخرين، حلفاء كانوا أو خصوماً سياسيين، وخاض منافسة حادة مع منافسيه. وما خلا لوائح ائتلافية جمعت أفرقاء سياسيين متناحرين، طاولت الخروق معظم المجالس البلدية المنتخبة، إلا بلديات كبيرة أحاط بانتخاباتها طابع سياسي من غير أن تنخرط، بالتأكيد، في معركة خيارات سياسية: لا في جبيل، ولا في قرطبا، ولا في الحدث، ولا في سنّ الفيل، ولا في دير القمر وسواها.

لم يكن التنافس على ترجيح أحد خيارَيْ المسيحيين الموزّعين بين قوى 8 و14 آذار، بل التعويل على تنافس العائلات لتثبيت زعامة شعبية من خلال السلطة المحلية. ذلك ما أرادته القوات اللبنانية في إحدى أكبر البلدات المارونية في الجبل، وهي دير القمر، كي تقاسم لأول مرة زعامة تاريخية لا شريك لها البتة ورثها النائب دوري شمعون عن والده الرئيس كميل شمعون. وهو ما رمى إليه التيّار الوطني الحرّ في تثبيت زعامته على الحدث، الكتائبية تقليدياً، أكبر البلدات المارونية في ساحل بعبدا. وأيضاً فوز حزب الكتائب في سنّ الفيل في ساحل المتن.

أما جبيل المدينة فشأن آخر. لم يستمد تسييسها، كانتخابات 7 حزيران الماضي، من أحد خياري قوى 8 أو 14 آذار، بل من الودّ المفقود باستمرار بين رئيس الجمهورية ميشال سليمان والرئيس ميشال عون. هي للأول مسقط رأسه الأوسع بعد عمشيت المعني به، وللثاني أحد أبرز مصادر شعبيته المسيحية. كلاهما خاض ضد الآخر صراعاً خفيّاً في الانتخابات النيابية، استنزف التيّار الوطني الحرّ نتائجها بفوزه بالمقاعد النيابية الثلاثة ضد رئيس الجمهورية، وأوحى بأن انتصاره كان على قوى 14 آذار انتخابياً، وعلى سليمان سياسياً

> **حيث الفوز محفوف بخطر ولدت ائتلافات، وحيث هو مؤكد دار تنافس**
>
> **رئيس الجمهورية رد لعون التحية في الانتخابات البلدية**